

جالاثيا لم تكن حجرا



نورالدين حنيف أبوشامة

إضمامه في قصيدة النثر

نورالدين حنيف أبوشامة

جالالشيألم تكن حجرا

إضمامة في قصيدة النثر

- نورالدين حنيف أبوشامة
- من مواليد مدينة الدارالبيضاء\ المغرب
- عضو في الجمعية الوطنية لصقارة القواسم
- خبير وطني في رياضة الأيكيدو
- مهتمّ بمجال الإبداع و الفنّ التشكيلي
- باحث في التربية و الفكر و الأدب
- لوحة الغلاف من إنجازي بعنوان (فراشة واحدة تكفي)
- البريد الالكتروني:
- Abouchama24hanif@gmail.com

إهداء:

إلى شامة
و هي الريحانةُ في بَرِّ الجمال.
تَاهَتْ عن حقولي ثمَّ عادتُ.
مرحباً يا ابنتي، و لو أنّي لا أرقى
لِمُتُّوكِ أَكْمَامِكِ
مَهْمَا مَحَبَّتِي كَانَتْ

...

تقديم:

القصيدةُ الجيّدةُ هي القصيدةُ التي لم تُنظَمَ بعدُ.

إنَّ كلَّ عملٍ أنجزه في مراتبِ قصيدةِ النثر الحدائثيةِ أجدهُ قاصراً عن أفقِ طموحاتي الموصوفةِ بالطمع، وهذا الأخير مشروعٌ ومِصداقيٌّ في مجالِ الإبداع، وليس بمكّنةِ أحدٍ أن يصمه بغير المصداقية.

الطمعُ في انزياحِ مُبهرٍ، أو في استعارةِ مدهشةٍ، أو في انسيابِ دلاليِّ مُموسقيٍّ، أو في تصويرِ محلّقٍ في سماواتِ الخيال، أو في تقديمِ أو تأخيرِ سحرِ التركيبِ وأخرجهُ عن جادّةِ صوابه

القاعديّ، أو في مفردةٍ قرّرتُ أن تُسافرَ
في الأبعاد بدل معتقاتِ القاموس...
أو ما شئتَ من ذلكَ و ذا في مضمار
الإدهاش، هو لعُمري الشّعْرُ متليّساً
في لبوسِ الجمال والجلال.

و قد يصيبتنا و نحنُ نفرحُ بضبط
العبارة في شعريتها شيءٌ من الارتياح
لانتمائها لقيم الشعر، ثم نقولُ في
حسَمٍ و جزم: ها الشّعْر... فإذا بها
قاصرةٌ عن بلوغِ مطمح النفس في
استشرافها لما هو أعلى وأرقى
وأسمى و أشعْر...

يبقى الكلامُ في موضوعيته أن القول
في الشعرِ قولٌ مرصودٌ لذائقةِ
المتلقّي، و أخصُّ منه ذلكَ المتلقّي
العارف، باعتبارِه أجلُّ حكمٍ وأعدل حاكمٍ
على شعريةِ القصيد.

الحجّ الأوّل
جالثيا لم تكن حجرا

أرسمُ حروفَ القصيدةِ بأصابعِ كافرة.
لم تُؤمنْ بعدُ أنّ المعنى سماءٌ لا
تطالها الأيدي... لا تصلُ مداها عينُ
تُرايئة. يشترقُ الإبهامُ داخلَ مقيتِ
الإعتماد، سبّابتي تُغرّبُ خارجَ دوائرِ الله.
خنصرٌ كفي يرفضُ توحيدَ الانزياحِ في
خاتمِ صقلتهُ أجنحةُ الملائكة... يحبُّ
صدأَ الحديدِ الباردِ، ويقدمُ بيعته
الوحيدةَ لشيطانِ أخرس.

لا مكانَ لي في بياضِ الصفحةِ
السمّاوية. الضبابُ صديقي، والغيمُ
العقيمُ مُصاحبي في رحلتي البعيدة.
جلّ تحبيري كانَ مطايا بغيرِ سُروجِ على
متونِ خيلٍ لا تتقنُ فنَّ الركض. و تتقنُ
لغةَ الحافرِ في نسغِ التراب. لا سنُبك

وَاجِدًا تَأَلَّةَ فِي مَحَارِيبِ الشَّعْرِ أَوْ تَعَبَّدَ
صُوفِيًّا فِي لُغَاتِ الضُّوءِ...

هَآ رَحَلْتِي لِعَنْتِي... زَادِي كَانَ زَقُومًا
كُرِيهَا، وَمَشْرِبِي غَسْلِينًا مِنْ عَذَابِ
الطَّرِيقِ. لَمْ أَنْتَبِهْ لِرَفْقَةِ الْمَسِيرِ. كُنْتُ
وَحْدِي مُتْرَعًا بِالْعِزَّةِ الصَّامِتَةِ... لَمْ يَكُنْ
لِي طَائِرٌ يَحِطُّ عَلَيَّ كَيْفِي وَ يَأْتِينِي
بِأَسْرَارِ الْمَتَاهِ. وَ لَا أَفَقَ يَغْطِي عِمَائِي إِلَّا
مَا انْفَلَتَ مِنْ وَهْمِ رُؤْيَائِي... وَ طَلَائِي
لِلظُلِّ كَانَ حَلْمًا بَعِيدَ الْمَنَالِ، حَتَّى
سَأْمِنِي السَّفَرُ... وَ السَّفَرُ لَمْ يَفْتَحْ لِي
احْتِمَالَ الشَّجَرِ.

كُنْتُ أَحْمِلُ مَعِي تَمَثَالَ "جَالِثِيَا"...
تُحْنِطُ التُّرَابَ فِي عَيْنَيْهَا. لَمْ تَسْتَفِقْ إِلَّا
عَلَى إِزْمِيلِ ذَهَبِيِّ النَّقِشِ، يَكْسُرُ
بصيرتِهَا الْمُوقَّتَةَ فِي جَسَدِ حَجَرٍ...
وَ صِرْتُ الْمُنْحَوْتَ بِكِفِّهَا السَّاحِرَةَ. وَ كُنْتُ

قَبْلَ الرَّحْلَةِ الْغَابِرَةِ نَاجِتًا مُقَوِّهَا، أَنْحْتُ
فَنَّ الضَّجْرَ. تَحْوَلُ بِصِرِّي إِلَى صَخْرٍ،
وَأَنَا الْحَالِمُ قَبْلًا بِأَنْثَايَ حَيَّةً مِثْلَ طَائِرٍ
خُرَافِيٍّ، يَحْمَلُ فِي خَوَافِيهِ بَعْضَ
الشَّمْسِ، وَ فِي قَوَادِمِهِ كَثِيرًا مِنْ
المَطَرِ.

أَحْمَلُ امْتِدَادَ الْيَوْمِ عَلَى زُنْدِي، وَ غَدِي
مَحْمُولٌ فِي كَفِّي إِنْ ظَهَرْتُ وَ غَسَلْتُ
دَرَنَ السُّوَالِ... مَائِي الْعَبْقُرِيُّ
وَالصُّوفِيُّ امْرَأَةً نَزَحْتُ مِنْ زَمَنِ الْأَزْلِ...
تَحْمَلُ فِي قَلْبِهَا جِرَارَ الْعَسَلِ، تُلْقِمُنِي
جِرْعَاتٍ تَحْكِينِي بَدَاءً وَ خَتَامًا. وَ تُقْرُونِي
فِيمَا تَبَقِيَ مِنِّي تَحِيَّةَ عَشْقِي لَأَعْرِفُ
أَوَاژَهُ بَرْدًا وَ سَلَامًا...

الحجر الثاني
الحجر في كفيها ضوء

عِنْدَمَا خَاطَبْتَنِي أَصَايِعُ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ،
كُنْتُ الْوَشَلِ الْمُرْتَعِشِ فِي كَفِّ الصَّخْرِ.
وَ كَانَتْ أُمِّي نَهَارَاتٍ تُدَوِّنُ بِغَيْرِ هَوَادَّةٍ
سُفْنِي الْوَاهِنَةَ بِإِبْرٍ مِنْ جَلْدٍ. تُخْطِئُ
الرُّثْقَ تَارَةً وَتُصِيبُ مَلَامِسَ الْعُنَابِ
تَارَاتٍ... قِمَاطِي كَانَ تَزْمِيمًا لِتَعْتِيرِ
الْمَاءِ.

وَ فِي انْتِشَاءِ الضُّوءِ، حَمَلْتَنِي رَجُلًا
يَطْفُولِي صَاخِبَةً، تَمْتَدُّ مِنْ تُخُومِ الْحَيْرَةِ
إِلَى وَصْلِ الْيَقِينِ. عَلَّمْتَنِي سَيِّدَهُ
الصَّبْرِ أَنْ أَرْجِي الْمَاتِمَ حَتَّى يَنْضَجَ
عَقْلُ الْحَجَرِ، وَ عَلَّمْتَنِي أَنَّ الشَّعْفَ،
هَجْرَةٌ... وَأَنَّ الْهَجْرَةَ غَيْمٌ، وَ أَنَّ الْغَيْمَ لَا
يَمَلُّ... وَأَنَّ رَبِّي لَمْ يَصْنَعْ لِلْمَاءِ قَبْرًا.

الحجر الثالث
ظِلُّ فَارَقَ صَلَاتِهِ

وَلَمَّا تَعِبْتُ ذَاتَ ارْتِحَالٍ فَتَشْتُ عَنْ
وَسَادَةِ أَتَقَمَّصُ دَاخِلَ رِيَشِهَا نَشِيدَ
الْبَجَعِ.

مُبَلَّلًا كُنْتُ، مِثْلَ قَطْرَةِ سُهْدٍ. رُوحًا يَلَا
ظِلَالَ، وَظِلًّا فَارَقَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ
لِخِمَارِ أَسْوَدٍ. صَيَّرَنِي نَسْغًا يَلَا شَجَرَ،
وَشَجْرًا يَرْتَجِلُ فِي الْمَكَانِ يَتِيمًا مِنْ
أَجْرَاسِ الضُّوءِ. يَشْتَهِي الْحَبِيبَةَ وَصَهْدَ
الْحَبِيبَةَ وَشَكْلَ الْحَبِيبَةَ.

يَرْسُمُ لِلشَّجَرِ تَقْوَاهُ فِيمَا الشَّجَرُ يَتَوَسَّدُ
شَهَقَاتِ الصَّمْتِ، يَمْضِي يَلَا سَاقَيْنِ،
نَشِيدًا زَانِيًا، يَغْتَابُ سِرَّ الْحَلْمَتَيْنِ وَ يَشِي
بِهِمَا فِي أَرْوَقَةِ التَّفَاحِ...

كُنْتُ أَنَا الْقَامَةَ، وَكُنْتِ أَنْتِ الصَّهِيل.
وَمَعًا، أَدْرَكْنَا أَنَّ اللَّيْلَ جَسَدٌ وَأَنَّ رُوحَهُ
مُعَلَّقَةٌ فِي جَمْرِ الشَّقَاتَيْنِ.

...

الحجر الرابع
عَطَش

لَمْ يَكْ جَسَدًا وَكَانَ نَارًا... وَالْمَدَى قَامَةً
تَعْجِنُ الضَّوْءَ يَرْغَبَةَ الرِّيحِ. كُنْتُ
الْمُسْتَنْتَى مِنَ الْغَيْمِ، شَرِبْتُ عَطَشِي،
تُوَجَّلُ صَلَاةَ التُّرَابِ فِي يَنْرُ بَعِيدَةً.

أَذْنُو مِنْهَا فَأَشْرَبُ الْمُلُوحَةَ بِرَائِحَةِ تُرَاوِعُ
عُزِّي الضَّوْءَ. تَسْقُطُ مِنْ نُبُوءَتِي
دَمْعَتَانِ: وَاحِدَةٌ تَعْبُرُ النَّهْرَ يَوْمَ يَوْمِ
السَّرَابِ. وَثَانِيَةٌ: تَفْتَاتُ مِنْ خَطْوِ حَافِي،
ضَمَدَتْهُ غَنِيمَةُ الْيَابِ...

الحجر الخامس
مُدُنٌ تَمُوتُ

مَنْ يَتْلُو تَعْوِيذَاتِ الْحَجَرِ عِنْدَمَا الْحَجَرُ
يَعْدُو غَزَعْرَةَ ؟

هَـا الْمَآءُ بِخَيْلٍ وَالصَّوْبُ عَاقِرٌ. وَ هَـا
الصَّحَارِي قَادِمَةٌ...

قَالَ الْحَجَرُ: لِي جَسَدِي وَلَكُمْ أَجْسَادُ.
وَلِلْمَوْتِ رَائِحَةٌ.

قَالَ الْمَوْتُ: لِلرَّائِحَةِ جَلَالٌ يَغْمُرُ مُدُنًا
بِالصَّمْتِ.

قَالَتِ الْمَدِينَةُ: أَنَا حَجَرٌ...

الحجر السادس
لَوْنُ الْخَسَارَةِ

فِي أَيِّدِينَا جَمْرٌ، دَسَّ نَهَارَهُ. يَحْمِلُنَا إِلَى
شَبَقِ الْهَائِيَةِ. يَأْخُذُنَا إِلَى نَشِيحِ الْمَاءِ
عُرُوشًا خَائِيَةً. وَ فِي مَقَامَاتِ الْحَجَرِ
تَفُودُنَا النَّارُ شَجْرًا غَارِقًا فِي الْيَبَاسِ.
يَرْفَعُ رَأْسَهُ لِلرَّشَقِ وَاللَّهَيْبِ تَوَامًا
لِلْعَطْبِ وَالنَّحِيبِ...

حَجَرٌ لِلْوَرْدِ وَالصَّرَاحِ. وَحَجَرٌ لِلرَّمْلِ يَغَارُ
مِنَ التَّلْجِ، يَطْلُبُ تَرْوِيضَهُ. وَ ثَالِثٌ: حَجَرٌ
يَمْتَصُّ شَيْخُوحَتَهُ فِي عَزَاةِ الْخَوْفِ
وَجَعًا يُضْرِمُ فِي الْجَسَدِ الْوَسِيمِ ثُقُوبَ
الْخَسَاةِ.

هَآ أَرْوَاحُنَا شَهِيقٌ يُرَبِّي أَصَايِعَ
الصَّمْتِ، عَنَاوِينَ كَبِيرَةً لِدَفَاتِرِ الْحَضَارَةِ.
خَسِرْنَا ... انْكَسَرْنَا... فَقَدْنَا كُلَّ الضُّوءِ،
حَتَّى ضَحِكْتُمْ وَ هَزَيْتُمْ مِنَّا الْجَسَارَةَ...

الحجر السابع
مَنْ يَرْقُصُ ؟

أَشْعِلِ النُّورَ مَنْ فَضْلِكَ حَتَّى أَرَى
اِخْتِلَاجَ العُزْسِ فِي تَفَاصِيلِ الجَسَدِ
المُضْرَمِ رَفْصاً عَلَى إِبْقَاعَاتِ العَنِيمَةِ.

فَمَنْ رَقَصَ لِمَنْ؟ وَ مَنْ شَدَّ الرِّحَالَ إِلَى
تُحُومِ اللِّحْمِ الأَبْيَضِ، رَمَاداً يَبْغِي عِشَاءَهُ
الأَخِيرَ عَلَى مَوَائِدَ بَابِلِيَّةٍ تُسَمِّي النُّهْدَ
غَوَايَةً وَ الحَلْمَاتِ فَتْحَا.

أَشْعِلِ النُّورَ مَنْ فَضْلِكَ حَتَّى أَتَبَيَّنَ
الأَخِيظَ الأَسْوَدَ مِنَ الأَشَدِّ سَوَادَا مِنْ
الفَجْرِ البَعِيدِ السَّائِحِ فِي زُرْقَةِ التَّلْجِ
مَلْمَساً رَمَلِيّاً، يَمْرَحُ فِي أَرَاجِيحِ العُدُوبَةِ.
وَ العُدُوبَةُ وَجْهُ بَضٌّ يُغْرِي الصَّلَاةَ
تَعْمِيداً فِي رَائِحَةِ الحَوَاسِّ. تَشْرَبُ
دُعَاةَهَا الشَّرْقِيَّ فِي دِنَانِ الرَّبِّ الأَشْفَرِ.

فَمَنْ رَقَصَ لِمَنْ؟ وَمَنْ شَدَّ الرَّحَالَ إِلَى
سَرِيرِ الشَّهْوَةِ اخْتِفَالًا فَائِضًا يُكْحَلُ
عُيُونَ الظَّمَا بِأَزْغِفَةِ الرَّعْشَاتِ الْمَبْلَلَةِ،
نَشِيدًا غَامِضًا مِثْلَ بَحُورِ عَجْرِيٍّ يَمْلَأُ
الجِرَاحَ فَقْدًا وَالأُزْصِقَةَ عُشَّاقًا عَاطِلِينَ،
وَالحَبِيبَاتِ صَبْرًا أَسْطُورِيًّا، يَغْزِلُ
الْإِنْتِظَارَ، وَ يَفُكُّ العَزْلَ رَقْصًا مَذْبُوحًا...

فَمَنْ يَرْقُصُ لِمَنْ؟ وَ مَنْ يُشْعِلُ النُّورَ
لِمَنْ؟ وَ مَنْ... وَ مَنْ... وَ مَنْ؟...

الحجر الثامن
مَقَامُ الْخَصَاةِ

أَيْقَظَنِي شَيْخُ الْبَحْرِ حَصَاةَ رَمَلٍ تَفِرُّ مِنَ
الْمَاءِ، بِغَرِيزَةٍ وَحُشِيَّةٍ مِثْلَ رِيْمٍ ضَيِّعٍ
فِي سِيْمَاءِ الْعَدْرِ شَكْلَ الرِّضَاعِ.

أَوْقَفَنِي النَّهْرُ وَ أَنَا أَحْصِي عَدَدَ
الشَّجَرَاتِ الْوَاقِفَةِ فِي قَمِي قَالَ : اكْتُبْ
وَ صَايَاكَ الْعَشْرَ ! فَكَتَبْتُ ... وَ كَانَتْ
الطَّرِيقُ أَوْلَ الدَّمْعِ وَ بَاقِي الْحَصَايَاتِ
صَوْرًا مَائِيَّةً تَخْرُجُ مِنْ خَزَائِنِ اللَّيْلِ.

مَدَدْنَا بَيْنَنَا حَبْلًا مَغْلُوبًا، وَ قَرَأْنَا الْفَاتِحَةَ
عَلَى صَدْرِ الْحَبْوِ. تَعَاهَدْنَا وَتَوَادَدْنَا
وَ شَدَدْنَا جُنُونَ الْجَسَدِ إِلَى زَنَازِينِ
الْجَمْرِ.

تَعَرَّتْ فِي خُطَوَاتِنَا أَوْزَاقُ ثَوْتٍ أَخْضَرَ
لِشَجَرٍ فَرَّخَ اللَّيْلُ عَلَى رَأْسِهَا، خَرِيفًا

يَمْتَدُّ كَطْفُلٍ، وَرَبِيعاً يَتَزَوَّجُ الْأَغْنِيَّةَ
الْمَجْرُوحَةَ، لِصَيْفٍ يَجْمَعُ الْحَصَى
حَصَاداً، يَتَأَمَّلُ مَطَامِيرَهُ لِشِتَاءٍ قَادِمٍ...

الحجر التاسع
مَزْمَى حَجَر

أَمْشِي مِثْلَ طَقْسِ يَدَائِيَّ وَ فِي كَفِّي
نَارُ عَجْرِيَّةٍ مَجْهُولَةٍ، تَمَرُّنُ قَوَافِلَهَا
الْمَجْنُونَةَ عَلَى عَادَاتِ الْبَصْرِ.

وَ الْبَصْرُ مَزْمِيَّ عَزِيْرُ بِالْحَجَرِ. كُنْتُ
أَعْرِفُ أَنَّ الرَّمِيَّ لَا يُخْطِئُنِي. أَعْرِفُ أَنَّ
أُمِّي الَّتِي خَمَّتْ حَجْمَ كَتْفِي، هِيَ مَنْ
رَصَدَتْ صَوْتِي لِمِيَاهِ الضَّوْءِ.

لَمْ تَكُ تُمَشِّطُ لِحْيَتِي. كَانَتْ تَغْزِلُهَا
مَسَافَاتٍ مَحْزُوقَةً فِي أَكْفِ الْعُرْبَاءِ.
كُنْتُ يَوْمَهَا قَرِيبًا مِنْ الْعُرْيِ...

كَانَ الْحَائِطُ، وَكُنْتُ أَمَامَهُ الشَّجَرَةَ...
صَدْرِي كَانَ مِرْشَقًا.

الحجر العاشر
أنا عِشاءٌ قديم

أدخلُ زمنَ الألواح. ابحثُ عن وصايا
نبيِّ غابر. يتدفَّق النهرُ في فمي وأقولُ
و أقول...

ها النوافذُ كما المواقيت، مفتوحةً على
غوايات الريح.

تمسحُ من وجهي كل الخطوطِ الرَّاكدة.
ترسمُ الأزمنةَ في عيني أنفاساً
مزخرفة... تعلّق في دمي نوافيرَ من
كلمات. أنتشي مثل فجر، يسخر من
مواعيد الرّخام.

لا أنام... لا أنام و في جعبتي لوحٌ
قدسيّ. نقشٌ عتيقٌ، و أوراقُ زيتون...

كفي تقرأ المعنى في خطّ الأمام.
تعجن التحايا في هميس المجاز. تصنعُ
منها قُبلاً محرّابية:

واحدةٌ في الجرح، وثانيةٌ في أعراس
الروح. فأكونُ العابدَ المُجتبى لقرار
الموتِ، واقفاً و مشدوداً إلى ضفائر
الحبيبة، كما النخلة، لا تقبلُ ظلّها إلا في
خُلاصةِ التراب.

أنا العشاءُ القديمُ، و رُوحِي مَأدبَةٌ لأرتالِ
المُعزّين. حُبْزِي قُبْلٌ خُرَافيةٌ على موائد
الشّفاهِ النقيّة: مرّةٌ قبلهٌ مدوّنةٌ في
الخدّ القرمزيّ، و مرّةٌ تنكى به في
عطشِ الماء، فتكون في قلبي هي
الرواء. أكون أنا مهدياً منتظراً يحسب
الأوقات...

متى تسوّرُ وجهي يَدانِ من السماء؟

الحجر الحادي عشر
مَرْتَبَةُ مُتَشَائِلٍ

أَلْفُ قَبْرِ تَنَاءَبَتْ فِي الْهَنَّاكَ. تُنِيمُ
دَفِينَهَا الْأَصْغَرَ.

وَ أَنَا، مُتَشَائِلًا فِي الْهَنَا، أَنْتَمِي إِلَى
وَطْنٍ مِنْ دُخَانٍ. عَجَزَ فِي فَمِي وَفِي
عَدَمِي أَسْطُورَةَ الْإِلَهِ الْأَشْقَرِ.

أَلْفُ قَبْرِ هُنَّاكَ، تُزِيلُ بِطَاقَاتِهَا الْحَمْرَاءَ
إِلَى أَشْجَارِ الْمَوْتِ. وَالْمَوْتُ حَارِسُ
أَعُورِ.

يَمُدُّ فِي عُمُرِ الْبُنْدُقِيَّاتِ. رَغْبَةٌ بَلْ
رَغْبَاتُ تَشْرَبُ قَهْوَتَهَا الصَّبَاحِ. تَغْسِلُ
آخِرَ سِيجَارَةٍ فِي كَفِّ صَفْرَاءِ، فِي زِنَادِ
أَبْتَرِ.

تُودَعُ أَعْمَادُهَا الْمُجَعَّدَةَ، تَضْفَرُ لِلشَّهِيدِ
خُصَلَاتِ دَمِهِ الْأَغْبَرِ.

تَزْعُرِدُ فِي شَفَقَتِي هَذَا الصَّهِيلِ حِكَايَةَ
ضَوْءٍ لَمْ يَبْسُهِ فِي يَبَاسِ النَّخِيلِ شَيْخُ
أَوْ زَعْتَرٍ.

وَ أَنَا ... مَا زِلْتُ هُنَا، مُتَشَائِلًا، أُسَائِلُ
وَطْنَ الدَّخَانِ هَلْ عَزَلْتَنَا قَدْرٌ أَمِ الْقَدْرُ
فِي دَمِنَا ... أَشْطَرُ؟!
...

الحجر الثاني عشر
تَسْيِطُ البُوحِ

مَنْ فَضَّلَكَ، سَيِّدَتِي! لَا تُرْتِّبِي بَقَايَايَ.
يَدَاكَ صَغِيرَتَانِ وَ قَلْبُكَ أَصْغَرُ. وَجَسَدِي
أَشْجَارٌ، تُمَارِسُ كُلَّ صَبَاحٍ خُرُوبَ الرِّدَّةِ
عَلَى صَمْتِ الطَّعْنَاتِ، وَ قَلْبِي مَطْرٌ...
كَفِّي سَاقِيَّةً. دَقِّي زَايِيَّةً. أَعْنِيَّاتِي مَاءٌ
زَلَالٌ وَ كَوْثَرٌ...

...

الحجر الثالث عشر
بَسِيْطاً، بَغَيْرِ مَنَاقِبِ

وَ هَذِهِ الْمَوْسُومَةُ فِي دَمِي زَيْبَقًا،
أَسْأَلُ الْفَجْرَ عَنْ عُنْوَانِهَا. فَتَنْتَشِي
قَدَمَاهُ. يَتَعَرَّى... يَتَشَرَّبُ فِي كَفِّي
السَّائِلَةَ حَفَنَاتٍ مَنْ صَمَتِ مُعْطَلٍ فِي
أَنْخَابِ الضُّوءِ...

يُلْغِينِي وَ يَبُوسُ رَأْسَهَا. أَقْبَلُ وَجَنَةَ
الظَّلِّ، ثُمَّ أَسْأَلُ النُّجُمَاتِ. فَتَقْتَنِصُ
جُرْحِي... تُرْتَقِنِي مِثْلَ حِذَاءٍ قَدِيمٍ يَنْتَظِرُ
قِطَارًا مُتَأَخِّرًا عَنْ مَوَاعِيدِ الْقَمَرِ.
تُرَاقِصُهَا "فَالسَّاتِ" غَيْرَ مُتَنَاهِيَةٍ...
أَرَاقِصُ أَنَا الْمُتَبَقِّي بَعْضَ الْهَالَاتِ. ثُمَّ...
أَسْأَلُ ذَاكَ الْمَدْعُو لَيْلًا...

تَخْرُجُ لَيْلِي مِنْ عَبَاءَةِ "قَيْسِ". تَقْتُلْنِي
قَبْلَ الْوِلَادَةِ تَارِيخًا حَجْرِيًّا يُخْرِجُ الْغُرَابَ.
يَخْرُجُ الْغُرَابُ، وَ قَدْ نَسِيَ سِيرَةَ الدَّفْنِ.

يُعَلِّقُ رِيثَهُ عَلَى شُرَفَاتِ يَتِيمَةٍ، تَتَعَلَّمُ
فَنَ التَّلْوِيحِ.

تَسْتَقِيلُ الْفَرَاشَاتُ مِنْ فَلْسَفَةِ الرَّيِّعِ.
تَقْضِيهِمْ مِنْ لَوْنِي شَكْلًا لِرَفْرَفَاتِهَا.
تُحِيلُنِي زُبُقًا آخَرَ.

أَسْقُطُ أَنَا، فِي قَمِي وَ فِي دَمِي...
أَسْقُطُ فِي عَدَمِي. ثُمَّ أَسْأَلُ عَنْ بَقِيَّةِ
أَظَافِرِي، كَيْفَ لَا تُثَقِّنَ دَرْسَ الْمَخَالِبِ؟
كَيْفَ لَا تَحْفُزُ لِي أَنَا الْآخِرَ قَبْرًا؟ وَ كَيْفَ
تَسْلُخُنِي عَنْ مَخَاسِنِي وَ تُبْقِي عَلَيَّ
الْمَتَالِبِ؟

وَ كَيْفَ هَذَا الْمَوْسُومَةَ أَعْلَاهُ، تَبِيْعُ
الضَّوْءَ لِقُبُورِ قَدِيمَةٍ وَ مُضْرِبَةً عَنِ
اسْتِقْبَالِ الْمُغْرَبِينَ فِي تَلَاوِينِ
الْفَرَاشَاتِ الْعَرْجَاءِ، تَسْتَجِدِّي دَرَاهِمَ

الْحَزَانِي وَ تَحْتَسِي فِي صَلْفِ مَاءِ
الْمَذَاهِبِ...

قَبَّلْتُ يَدَ الْمَسَاءِ. وَ سَافَرْتُ. وَ دَعَّعْتُ
الْخِصْرَ وَالشَّعْرَ الذَّهِيَّ... أَطْبَقْتُ بَابَ
الْغَابِ خَلْفِي، وَأَنْسَلْتُ. لَا يَرَانِي الشَّجَرُ
وَ لَا الْغُرَابُ وَ لَا الْحَصَى الرَّقِيبِ.

أَجْلِسُ بَيْنَ الْعَصَافِيرِ الشَّارِدَةِ. نَنْتَظِرُ
مَعاً مَنْ يُلْقِمُنَا أَقْرَاصاً جَدِيدَةً؟ لِتُخْبَلَ
جُغْرَافِيَا هَذِي الرُّوحِ... تَلِدُ نَسْلاً جَدِيداً
جَدِيراً بِالمُوتِ جَلِيلاً بِالحَيَاةِ، جَمِيلاً،
وَ تَبْسِيطاً يَغَيِّرُ مَنَاقِبَ...

الحجر الرابع عشر
سيرة ابن أبي

تتَراصُّ في ذَهِبِي الفِلسَفيِّ أَفكارُ
بِئضاءٍ، مِثْلَ دَكاكِينِ مَنْ لَبَنَ. ياكُلُ
أزرقُها المُنْفَتِحُ بَعْضَ عُمُوضِ الأزْوَقةِ.
أبوابُ ذاكِرَتِي مَظليَّةٌ يَرَمادِ المُخابِراتِ.
وَ سَجانِي الَّذِي قَضَى نَحْبَهُ بَلِيداً، حَمَلَ
مَعَهُ لَعَنَةَ ضَوِّي إِلى أَرْضِهِ المَواتِ.

كنتُ أنا الحِياةَ.

بَقِيْتُ رُغمَ سَوطِهِ، رُغمَ صَوْتِهِ... أَسْمَعُ
مَنْ صَبايا حَومَتِي كُلِّ الرِّغَداتِ.

أنا سُنْبُلَةٌ أَرَقَمِيَّةَ.

إِنبَتْتُ مِنْ مَساجِدِ الحَيِّ مِثْلَ عُشْبَةِ
بَرِّيَّةٍ يَغَيِّرُ مَهْرَجانَ. وَ يَغَيِّرُ صَوْلجانَ.

فَقَطُّ... كَانَ لِي سَاقٌ أَخْضَرُ لَا يَشِيخُ.
وَلَمْ يَأْتَهُ لِخَضْرَتِهِ إِنْسٌ وَ لَا جَانٌّ...

لَمْ أَعْطِلْ سَيْرَةَ الْخِيَالِ فِي جَسَدِ وَزْدَةٍ.
وَ كَانَتْ وَزْدَةٌ فِي لَوْحٍ، وَ اللَّوْحُ بَلَوْنُ
الْكِتَابَةِ. كَانَ فِي قَبْضَةِ الشَّيْخِ، وَ كَانَ
يَعَصِي مَنْ حَرِيرٌ... يَعْبُرُ فِينَا ثَلَاثَ
مَسَافَاتٍ:

الْقَصِيرَةَ لِلْأَقْرَبِينَ، وَ الْمَتَوَسَّطَةَ
لِلْحِيَارَى وَ الْمُتَأَهِّبِينَ. وَ الطَّوِيلَةَ لِمَنْ
فِينَا عَبَرَ صَهْدَ الْوُجُودِ وَ وَجَدَهُ قَابَ
قَوْسَيْنِ مِنْ وَجَنَاتِ الْوَجْدِ أَوْ أَمْتَارًا...

عِشْتُ أَعَانِقُ ثَلَاثَ شَجَرَاتٍ... عَلَّمْتَنِي
أَطْوَلَهُنَّ كَيْفَ أَتَقَمَّصُ ظِلَّ الْقِرْدَةِ. أَنْظُ
فِي أَغْصَانِ الْقَهْرِ دُونَ أَنْ تَزِلَّ مِي
قَدَمٌ... وَ قَدْ زَلَّتْ فِيَّ أَقْدَامُ. وَ كُنْتُ
قَرِيرَ عَيْنٍ تَحْتَ ظِلِّ أَصْغَرِهَا، أَنَامُ...

أنا الْيَوْمَ لا أَعْفُو و لا أَنَام.

أذْكَرُ أَنِّي غَبْتُ عَنِ الشَّجَرَاتِ دَهْرًا
قَصِيرًا. إِذْ طَالَ زَعْبُ إِبْطِي وَ كَانَ
الزَّمَانُ إِذْ قَصَّهُ بِمَكْرِ، عَلَيَّ ظَهِيرًا.

لَمْ أَجِدِ الظَّلَالَ، وَ وَجَدْتُ الْإِسْمَنْتَ
بَدِيلًا شَرَّيرًا. بَكَيْتُ بِلا دَمْعٍ نِكَايَةً فِي
هَؤُلاءِ الصَّوْرَةِ. كَانَتْ الْبُومَاتِنَا فِي أَيِّدِي
صَدِيقَاتِنَا عُنْوَانَ الرَّجُولَةِ، وَ لَوْ كَانَتْ
مَقْهُورَةً.

عِشْتُ أَحَدِّقُ بِأَعْيُنِ الْعَطَشِ: وَاجِدَةٌ
عَلَى الْكُرَّاسِ تَتَجَسَّسُ عَلَى كَوَالِبِيسِ
الدَّفْتَرِ...

وَ ثَانِيَةً عَلَى فِئْتَةِ الْمُسْتَدِيرَةِ تُخْطِي
تَارَاتٍ وَ تَارَةً تُصِيبُ الْمُنْظَرَ.

و ثَالِثَةٌ رَكِبَتْ فُنُونَ الْقِتَالِ، نَسَجْتِنِي
نَاعِمًا أَرَاقِبُ عَضَلَاتِي أَنْ تَتَسَيَّبَ خَارِجَ
فَنِّ الْجَوْهَرِ.

و رَابِعَةٌ عَشِقْتُ زُرْقَةَ الْمَدَى آمَنْتُ أَنْ
الْبَحْرَ قَدَرُ ابْنِ الْحَيِّ وَ أَكْثَرَ.

و خَامِسَةٌ شَغَفْتُ حَبَّ النَّبِيِّ عَانَقْتُ
فِيهِ صَلَوَاتِ الْفَجْرِ، وَ تَمَنْتُ حَصَادَهَا
فِي رَشِيقِ الْكُوْثَرِ.

و سَادِسَةٌ هِيَ بَيْتٌ لُعْتِي، تَسْأَلْنِي عَنْ
شَمَالِ الرُّوحِ لَمَّا جَنُوبُهَا كَادَ أَنْ يَتَّبَحَّرَ...

أَنَا الْآنَ بَقِيَّةُ تَارِيخِيَّةٍ مِنْ سُؤَالٍ.

و السُّؤَالُ يَكْبُرُ، كُلَّمَا كَبُرَ فِيَّ عِظْرُ
الْوُجُودِ وَنَمَا فِي أَضْلَعِي شَكُّ الرِّعْتَرِ.

هَآ أَنَا الْآنَ مُوسِمٌ لِعُروسِيَّةِ الْقَمَحِ،
يَتَكَرَّرُ فِي الطَّلُقَاتِ الْخَاوِيَةِ بِغَيْرِ
جُمُوحٍ... أَمْتِطِي صَهْوَةَ الْفِرَاقِ وَأُرْسِلُ
حَوَافِرَ أَفْرَاسِي خَارِجَ قَصِيدَةِ الرِّيحِ.

هَآ أَنَا أُسْتَرِيحُ. هَآ أَنَا أُسْتَرِيحُ. وَ أَنَا
الطَّاعِمُ الْكَاسِي... فِي عَطَلَةٍ وَجُودِيَّةٍ:
تُرْبُهَا عَوْسُجٌ وَ مَاؤُهَا تَبَارِيحٌ...

الحجر الخامس عشر
جَرَادَةُ مَالِحَةٌ

وَ هَذَا الدَّمْعُ الصَّامِتُ قَتَى حَجْرِي
الرَّوْحَ، يَلْبَسُ عُباراً، وَ ظلالاً بارِدة...
تَشْرُدُ فِي كَفَيْهِ المَشْفُوقَيْنِ مِثْلَما
تَشْرُدُ أَعْنِيَّاتُ حَزِينَة.

فَمَنْ حَفَرَ فِي المَدِينَة كُلَّ هَذِهِ
الأدِلَّة؟ وَ مَنْ امْتَدَحَ فِيها جِلْدَ القُرَادِ
وَ اشْرَبَ التُّرابَ نَسَعَ المَدَلَّة؟

هَما المَناجِمُ وَ الجَماجِمُ مُفْرَداتُ يَكْتُبُ
تاريخَها سَلُوقِيٌّ أخْضَر... لَهْ صَدْرُ
كَاهِنِ وَ جَبْرُ جاتٍ مِثْلَ عَطَشِ، يَكْتُبُ
يَأْجِرُ سَخِيٍّ... يَرَأِيسُ تُحِبُّ الرَّمْلَ.

أَلَا ما أَعْبَى الصِّلْصالَ جِينَ يَحْزِمُ
حَقائِبَهُ خارِجَ النَّهارِ... يَزْحَلُ عَن رايِحَة
القَمَرِ وَ كُؤُوسِ الشَّاي. تَشْرَبُها

مَسَاءَاتُ تَقِيَّةٍ يَجْبُزِ أَسْوَدَ، أَنْقَى مَنْ
صَرَخَ امْرَأَةٌ فِي مَخَاضِهَا الْأَخِيرِ...

الحجر السادس عشر
خَرَائِطُ لَوَجْهِ عَارٍ

خَارِطَةٌ بِلا مِيَاهٍ لِيُوجِهَ الْوَقْتِ الْمَصْلُوبِ
عَلَى مَقَاصِلِ الْوَجَعِ. يَكْتُبُ لِعَنْتِهِ.

وَأُخْرَى لِلْبَحْرِ، يُعَلِّقُ مَرَايَاهُ فِي حَبْرِ
غَايِرٍ. يَتَصَيَّدُ مَا كِرّاً أَسْرَارَ الْمَرَايَا
الْعَالِقَةِ...

وَ ثَالِثَةٌ فِي كَفِّي، تَنَامُ مِرْقاً عَلَى
تَجَاعِيدِ ضَا حَكَّةِ .

جَمَعْتُ الْخَرَائِظَ فِي وَجْهِ، وَ تَلَوْتُ
تَعْوِيدَاتٍ قَدِيمَةً عَلَّمْنِيهَا شَيْخٌ يَغْنُرُ
مَوَاقِفَ. يَرْفُضُ الْخُرُوجَ مِنْ دَوَائِرِ
الْمَاءِ...

أَسْرَجْتُ خَطْوَةَ الرِّيحِ، ثُمَّ عَرَّجْتُ فِي
اتِّجَاهِ الْمَرَايَا. أَبْحَثُ عَنِ الْوَقْتِ وَ عَنِ
وَجْهِهِ وَالْبَحْرِ...

الحجر السابع عشر
دَالِيَّةٌ مِنْ لَيْلٍ

هَذَا كَفُّ النَّهَارِ تُقَشِّرُ فَاقِهَةَ اللَّيْلِ فِي
صِحَافٍ مِنْ مَاءٍ مَاجِنٍ.

وَهَذَا الصَّهِيلُ، يَتِيمًا مِنْ غَيْرِ نَبْرٍ، يُرْسِلُ
الْحَنَاجِرَ وَسَادَاتٍ... وَ الْوَسَادَاتُ صُدُورُ
عَارِيَّةٍ إِلَّا مِنْ زَعْبٍ يُشْبِهُ رِيَشَ الْمَسَاءِ.

كُنْتُ أَنَا الْمَسَاءَ وَ حَبِيبَتِي كَانَتْ أَمِيرَةً
فِي أَرْضِ الرُّخَامِ. تُحَوِّلُ أَصَابِعَهَا إِلَى
عَرُوسٍ مِنْ قَصَبٍ، وَتُعَيِّنِي وَ الرِّيحَ ...

تُعَيِّنِي حَتَّى الْخُلْمِ يُعَيِّنِي. وَ حَتَّى الْخُلْمِ،
يَرْقُصُ كَمَا الْخَيْلُ لَا تُودَعُ طِبَاعَهَا
النِّهَائِيَّةَ فِي أُنْدِيَّةِ الظَّلَالِ وَالْأَلْوَانِ
وَخَصَائِصِ الْحُقُولِ الصَّاعِدَةِ إِلَى
مَدَارِجِ الْمَاءِ.

قلتُ، وَقَدْ فَقَدَ حَافِرِي حَدْوَتَهُ الذَّهَبِيَّةَ.
هَلْ تَسْمَعِينَ يَا سَيِّدَةَ التُّخْمِينَ بِآخِرِ
رَقْصَةٍ لِتُكْرِمِ الْمَاءَ؟

قَالَتْ وَ قَدْ تَدَلَّى الْخِمَارُ الْأَسْوَدُ عَلَيَّ
الْتِمَاعِ اللَّجِينِ... أَنَا دَالِيَّةٌ مِنْ لَيْلٍ،
وَعَنَاقِيدِي، تُقِيمُ فِي الْقَمَرِ...

الحجر الثامن عشر
سَقَطَ التَّفَاحُ

" إضاءة "
سَاهِرَةٌ
عَلَى بَيْدَرِ الْجَزْحِ
تَنْتَقِي مِنْ سَوَادِهِ
حِنْطَةَ الرُّوحِ.

...
لَيْسَتْ لَدَيَّ فِكْرَةٌ وَاحِدَةٌ عَنْ سَيْرَةِ
الظَّهَارَةِ، يَغْتَنِّيهَا جَسَدُكَ الشَّيْطَانِي.
وَلَأَنَّ هَذَا الْوَلَدَ الطَّائِشَ بَاغْتِكَ عَارِيَةً
التَّفَاصِيلِ سَقَطَ التَّفَاحُ وَتَعَرَّى الشَّجَرُ.

وَلَأَنِّي كُنْتُ أَنَا الْقَدَرُ تَرَكْتُ ضِلْعِي
السُّوِيَّ مَفْتُوحًا عَلَى كُلِّ الْاِحْتِمَالَاتِ
الْآثِمَةِ حَتَّى لَا تُصِيبِكَ لَعْنَةُ الْمَطَرِ.

هَآ شَفَتَاكِ تَزْعِشَانِ كَلَّمَا اقْتَرَبَ مَوْعِدُ
الْجَائِزَةِ... وَ هَا كُلُّ سَطْرٍ مِنْ حُضُورِكَ
الْخُرَافِيِّ يَسْتَجِدِّي جَاذِبِيَّةَ الْمَاءِ.

تَضْحَكُ السَّمَاءُ، ثُمَّ تُرْسِلُكَ شَقِيقَةً
عَابِرَةً لِقَمِي... مَارِدَةً لِذَمِي... مَثَلِ
أَمِيرَةٍ مَعْمُورَةٍ، لَا تَتَشَبَّعُ مِنَ الْمَشِيِّ
بِأَجْنِحَةِ الْقَمَرِ عَلَى وَجْهِ الْقَمَرِ.

...

المحمدية غشت 2015

الحجر التاسع عشر
سِيحَارَةُ سُرِّيَالِيَّةٍ

بَيْنِي وَ بَيْنَ ظَلِّي مِنْقَضَةٌ.
أَصَابِعِي الصَّفْرَاءُ
عُشٌّ مُعَلَّقٌ
لِظَائِرٍ غَرِيبٍ
فَقَدْ ثِقَافَةَ التَّحْلِيْقِ.
حُفَّاشٌ يَتِيمٌ:
خَوَافِي بَاهِتَةٌ...
و قَوَادِمُ بَاعَتْ حُمُرَتَهَا
لشَرِكَةِ الدَّخَانِ.
أَمَّا عَقْلِي... فَرَمَادُ.

الحجر العشريون
إلى (سين) سيدة الوقت *1

حاشية:

- 1- يدلّ حرف السين هنا على الشخص دون تعيين كما نعبر في ثقافة الغرب عنه بحرف X
- 2 - وثنّ الرجل أي أقام على العهد
- 3 - الأيطل هو الخاصة

سأتركُ حكايةَ الكفنِ استِعارَةً عمياءَ في
فَنِّ العُشُقِ. و أرْتبُ بدلَ الهباءِ ورداً
يليقُ بسيِّدةِ البهاءِ...

هِيَ سَيْنُ السَّوَالِ و هِيَ سَوَالُ
السَّنَوَاتِ. كَانَتْ عِجَافاً فِي قَلْبِ
الْمَسَافِرِ. يَحْمِلُ كِرَارِيْسَ التَّأْوِيلِ فِي
جُعبِ الاحْتِمَالِ.

هل تكونُ و يكونُ؟ أم يكونُ في غيبِ
الإمكانِ سؤالاً بلا مكان؟ أم هو اللّونُ
القَادِمُ مِنْ عِبَاءَةِ العَارِفِ يحوُّ القماشِ
إلى وطن...

وجْهها كانَ الوطن. و الظّاعِنُ مُثْقَلُ
المسيرِ، تغوصُ روحهُ في مكرِ الرّمْلِ،
وتأبى قدماهُ إلا أن تعتنقَ الوثنَ . * 2

حَفَنَةً مِنْ رِيحٍ فِي كَفِّهِ، وَ فِي خَطْوِهِ
حِشَاشَةً مِنْ رُوحٍ. وَ الْمَطِيَّةُ فِي
أَيْطِلِهَا الْخُرَافِيُّ * 3 تَزْنُو إِلَى الْأَفْقِ فِي
مَازِقِ الْعَطَشِ. تَعْشَقُ أَنْ تُشْفِقَ فِي
صَمْتِ الرَّحِيلِ عَلَى نَحْتِ الطَّرِيقِ، عَلَى
خَسَارَةِ الرَّفِيقِ، أَنْ تَبْتَعِدَ مَدِينَةَ الْحَلَمِ
وَتُزْحَفَ خَارِجَ عَيْنِيهِ، وَ خَارِجَ مُمَكِنِ
الْبَرِيقِ...

يُحَسِّنُ الظَّاعِنُ بِمَكْرِ الرَّمْلِ كُلَّ الظَّنِّ.
يَتَقَدَّمُ فِي صَبَاحِ الْفِكْرَةِ بِخَطْوِ جَرِيحِ.
فَسَيِّدَةُ الْوَقْتِ تَفْرِشُ هُنَاكَ فِي عَرِيشِ
الْوَصَالِ ظِلَالِ عَشْقِ خُرَافِيٍّ... حَقْلَ لَوْزِ
وَمَاءِ وَ زُمَانِ وَ فَرَاشَاتِ بِيضَاءِ، وَ نَاراً
تُسَمَّى اللَّهُ قَبْلَ الْاِشْتِعَالِ فِي رَقْصَةِ
اللقاءِ وَ الْبَقَاءِ.

الحجر الواحد و العشرون
نورسة من نار

مثل نورية، تقف على رجلٍ واحدة
تشرب نارَ المياه...

وهذا البحرُ امرأةٌ تخلط شعري بالليل.
تمشط تاريخي في أناملها الخرافية.
وترسلني عطشاً نوريّاً يستطلعُ أروقة
الشفاه...

تسحبني كريماً من زحام النساء.
تعزّلني لتغزّلني في عينيها صورةً
للممتحن... تُفرغني من صوتي الممكن
و تعمّرني بديعاً بسورات الآه...

ترفعني هذي النورية من شتائم
الأرض إلى هسيس السّموات. تُكسّرُ

في ذهني جِوزاتِ العَرَضِ، و تَقِيمُ لي
أَعْرَاسِ الجِوهرِ.

تُرْتَّبُ في بَصْرِي أَرْلَ المَرايا ثمَّ أَشْرَبُ
في نَخِيها أُنْدَرَ الكِوثرِ حينَ الكِوثرُ عَسَلُ
في وَجنتيها غابَ عَنِّي و تاه.

...

الحجر الثاني و العشرون
أصابعها ذكّية

لم تكُ أصابِعُها إلا ذَكِيَّة،
تتوضأ كلَّ صباحٍ
بترتيل الأسماء

ترتَعِشُ في تفاصِيلِها العَمِياءِ حِجَارَةً
صَغِيرَةً. تُنَكِرُ المُسَمِّياتِ. تُرَمِّمُ بَيْنَ
فاصِلَتَيْنِ سَواداً يَمْتَطِي صُورَةَ الماءِ.

حَجَرٌ يُووِلُّ الحَيْرَةَ شَكْلاً عاشِقاً.
يَتَقَمَّصُ نَسِغَ الصَّلَاةِ. وَحَجَرٌ يُسَلِسُ
قِيادَ الضَّوئِ، يحوِّلهُ أَجْراساً...

يَصِلُ سِدْرَةَ الأَرْتِعاشِ... يَقْضِمُ مِنْ
أزِغَةِ القَمَحِ ما يَسدُّ جوعَةَ النَّهارِ وِظْماً
الليلِ شَبَعاً وِ اسْتِناساً...

أَسْئَلُهُ بِلاَ خَطِيئَةٍ وَ تَسَابِيحُ تُدَنِّدُنْ ظِلَالَ
الْخُرَاقَةَ لِعُشْبٍ يَشْرَبُ اللَّيْلَ بِأَنْبِيَةٍ مِنْ
ضَبَابٍ...

هَا الْحَجَرُ ثَانِيًا يَطْنُ قَامَتَهُ صَهِيلاً، يَجْدَلُ
كَلِّمَا حَزْنَ التُّرَابِ... يَسْخَرُ مِنْ حَوَافِرِ
الشَّجَرِ كَيْ يَحْمِلَ اللَّيْلَ إِلَى رُؤُوسِهَا
الْعَالِيَةِ...

وَهَا رُوحِي، مَوَاوِيلِ... وَأَنْتِ هُنَاكَ.
شَمْسٌ تَشْطِرُ أَصَابِعِي شَطْرَيْنِ:

شَطْرُ عَارٍ، يَطْلُبُ الضَّوْءَ تَوْتًا.

وَشَطْرُ عَارٍ، يَصْنَلِبُ الْغِيَابَ.

رَائِحَةُ سَقَطَتْ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ فَرَحٍ
أَنْجَبْنَاهُ طِفْلاً، يُرَاوِعُ لَهْفَةَ الْمَاءِ. وَكُنْتِ
أَنْتِ السَّمَاءُ...

الحجر الثالث و العشرون
انكسار

ولما لم أكن ميتاً بعدُ، قررتُ العودة
إلى ثيابي بعدَ كلِّ نزهةٍ صباحيةٍ لا
أمارسها إلا في ذهني المؤقت...

أُمعن في الركض. كأنما يغشاني
مقامر محترف. استيقظ على هسيس
الفطر الخضر... تنمو على عظامي
المرتجفه بقايا امرأة مكسورة، وشظايا
زجاج ساخن...

ألمّها... تتدلّى من عيوني كأنناً لزجاً
يبحث عن ماء كي يبدّل من هويته
المسترخية في كسل الظلال...

أضرب الحجر بقدمي، انتظر انبجاس
الشفتين على كرزات الدهشة في نبيذ
الفتنة...

تأخذني المرأة إلى ضبابٍ بعيد. يتأرجح
المطر داخلي، أروم انتشار الزخات من
بحر الروح. أجدني رغبةً مُترعةً
بالاحتمال...

أحمل نبوءتي معي، أفتش عن عصاي
المباركة... أضرب البحر بالوهم...
و أنتظر...

ينفلق قلبي إلى نصفين، ولا ينفلق
البحر. تخرج امرأة منكسرة مثل نبيذ
عجري... تلتف بجسدي ممشوقةً مثل
إله فينيقي...

ولما انفصلت عن ملابسي، اكتشفت
أني رجلٌ يتقن فن الانتظار مثل عبث
طُقولي...

الحجر الرابع و العشرون
عطشُ الريح

أُحَدِّثُ كَمَا كَانَ فَرَّاشَاتِي مِنْ مَاءٍ. شِفَاهُنَا
كَائِنَاتٌ بَلُّورِيَّةٌ طَاعِنَةٌ فِي الْعَطَشِ...
أَنْشَفْتُ مِنْ شَجَرٍ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى يَقِينِ
الْأَنْهَارِ.

المدى الأخضرُ كان قلباً يحكي سيرة
الرفرفاتِ المهیضة. كنتُ والرَّيحُ نُصِيحُ
السَّمْعِ لدبذباتِ نبضِ عرفتُ نَبْرَهُ و لم
أعرفُ سيّدته...

سألْتُها في غيبَتِها المشروحةِ في وغي
الغُبَارِ: كم عددُ أَرْجلكِ أَيُّهَا الرِّيحُ؟
وهل تركُضِينَ مِثْلَ غِيمةٍ؟ و هل يسخُنُ
دَمُكَ في كلِّ هَبَّةٍ تَفْضُمِينَ خَالَهَا مِنْ
حَجْمِ السَّكُونِ؟

لَمْ تَنبَسْ شَفَتَاهَا بِرَشْقٍ أَوْ خَسْفٍ...
قَالَتْ بَعْدَ أَنْ مَالَتْ:

أرصدني في عشق النساء قبل أن
تحاصرني في عويل العصف. اقراني
غمزة حوامة قبل أن تقراني رجّة
دوامة... الرّيح التي أنا، هي أنت في
نفسك اللّوامة.

الحجر الخامس و العشرون
مواعيدُ بحر

بقدمين عاريتين و نعلين من جلد
الرغوة يسير البحر... يؤرجح أقدامنا
السكرى في فراغات الموج، يبحث عن
ملح يقدد أجسادنا الألواح ...

...

ما الذي يدور في رأسك أيها الانحدار
المائي؟ لن أدعك تراقص عطرها حتى
تسترد ماءك من شباك العطش.

...

هي ذي الطفلة الحوريّة، تأتي من
خوف الرغوة... تضحك لارتعاش البحر
في ظنون الانكسار على رمل ساخن...
تهرب إلى الشجر و في قبضتها ساجل
حزين...

تُرْتَّبُ مواعيد الماء ليلاً مع همس
السنابل وعناق المناجل وانحناءة قمر...

الحجر السادس و العشرون
رقصة

هَذِهِ الْأَصَابِعُ الدَّالِيَاتُ تَكْتُبُ وَجْهَكَ
الْقَمَرُ تَرْقُصُ فِي إِيْقَاعِ الخُصَلَاتِ كَمَانًا،
يَشْرَبُ أوتَارَهُ وَيَتَادِمُ الوَجْنَاتِ فِي
حَدِيثِ العَصَافِيرِ... وَ قَدْ نَامَ عَلَى
أَجْنِحَتِهَا المَطَرُ.

الحجر السابع و العشرون
جَسَدٌ وَ جَسَدٌ

قالت: جَسَدِي مَنْطِقَةٌ مُغْلَقَةٌ عَلَى
مَسَامِ الطَّقْوِسِ... وَ كَلَّمَا هَمَمْتُ أَنْ
أَفْتَحَ فِيهِ شِرَاعًا سَرَقْتَنِي الرِّيحُ إِلَى
ظَنِّ النَّاسِ، وَ لَا تُرْسِلْنِي إِلَى النَّاسِ...

سَأَلَعْنِي حَتَّى أَبُوءَ ...

قال:
جَسَدِكَ قَارُورَةٌ
مُغْفَلَةٌ عَلَى الْجَلَالِ.
فَمُقَمُّهَا مِحْكٌ
لِأَهْلِ الْحَلَالِ...
فَلَا تَلْعَنِي
يَا السَّمَاءِ الْمَوْصُوفَةَ بِالْكَمَالِ.

الحجر الثامن و العشرون
ملاحة فائضة

تَغِيْطُ الْمَرَايَا رُوحَكَ السَّائِلَةَ. تَضْحَكُ
مِنْ حُفْرِ الذَّاكِرَةِ. تَزْسُمُ لِلوَجْنَاتِ مَلَاخَةً
فَائِضَةً. تَأْخُذُ بِيَدِ الْمُعْصَمِ، تَسْأَلُ كَمْ
سَاعَةً سَكَنَ الْوَرْدُ فِي الشِّفَاهِ؟ وَ كَمْ
دَهْرًا حَكَتْ سِيرَةَ الْمَتَاهِ؟

صَهِيلَ الْعِنَبِ يَرِبُو عَلَى مَوْجِ الْعَسَلِ
حِينَ الدَّالِيَاتُ انْسَدَلْنَ لَيْلَهَا الْعُرَابِيَّ.
أَسْكَتَ النَّهَارَ مَعْقُوفَ الْبَصِيرَةِ،
يَسْتَرِيحُ مُتَّكِنًا عَلَى سَاقِ شَجَرَةٍ.

وَ الْخَدُّ، نَزَحَ دَمًا قَانِيًا مِنْ خَجَلِ الصَّبَاحِ،
يَزْكُضُ عَلَى الْمُحِيَّا الْحَلِيمِ خَشْيَةَ نَفَازِ
الْقُبْلِ، وَ انْقِطَاعِ النَّبْضِ عَنْ نُزْهَاتِ
اللَّمَى فِي تَرَاتِيلِ الْمُقْلِ... هِيَ صَرْخَةٌ
أَفْلَتَهَا الْجُرْحُ فِي مَوَاسِمِ الصَّبْرِ...

الحجر التاسع و العشرون
أقحوان شارد

ظَلِّي صَغِيرٌ مِثْلَ أَفْوَانٍ شَارِدٍ...
أَتَامِلِي سَعْفٌ أَخْضَرَ. وَ قَامَتِي نَخْلَةٌ
تَنْظِمُ قَصِيدَةَ الْعَرَاءِ فِي رَقَصَاتِ الرِّيحِ.

أُدَاعِبُ خَصَرَ الْهَنْيَهَةِ فِي رَشِيقِ
الشَّبَقِ... أَمْتَصُّ تَرْبَتِي الْغَابِرَةَ فِي
عَشَقِ الْغُرُقِ وَ أَحْوَلْنِي إِلَى عَطَشِ
يَغْنِي فِكْرَةَ الْإِنْتِظَارِ، يَلْحَنُ شَكْلَ امْرَأَةٍ
قُدَّتْ مِنْ غِبَارٍ...

تَكْتَبِنِي سَقِيًّا وَ رَوَاءَ لَجْدُورٍ بَاءَتْ فِي
ظَمًا الْإِحْتِضَارِ.

أنا لا أموت من عطش... و أموتُ من
سؤالِ يعانقِ صدورَ الغيم، يعانق
فلسفة الإنكار...

الحجر الثلاثون
على كِتْفِي منذ دَهْرٍ

كَيْفَ لِي أَنْ أَتَكَهَّنَ بِالنَّبْرِ الْيَتِيمِ، يَصْوَعُ
خُرَاقَتِي نَفْسًا سَرَابًا ؟

...

و كَيْفَ لِهَذَا الَّذِي أَنَا أَنْ يَكْتُبَنِي ضَوْءًا
وَأَنَا الْمَكْتُوبُ تُرَابًا ؟

...

كَيْفَ وَ كَيْفَ لِهَذِهِ الَّتِي تَعَجُنُ زُجَاجَ
الرَّوْحِ عَلَى مَهْلٍ، كِنَافِذَةً مِنْ خَشَبِ
قَدِيمٍ، أَنْ تَرْفُدَ كُلَّ هَذَا الدَّهْرِ عَلَى
كَتِفِي وَ تَنْسَى فِي رُقَادِهَا شَكْلَ
الْحُضُورِ، تُمَجِّدُ الْغِيَابَاتَا ..؟

...

هِيَ تَكْتُبَنِي وَجْهًا بِغَيْرِ تَقَاسِيمَ حِينَ
التَّقَاسِيمُ تَقْبَعُ فِي أَصَابِعِهَا، تَنْزَلِقُ فِي
دَمِي وَ كَأَنَّهَا النَّخْلُ يَبْنِي مُكْعَبَاتِ
الشُّوْبِ وَ يَكْسِرُهَا أَنْخَابًا.

...

أَوْ كَأْتَهَا النَّخْلُ يَغْزِلُ كَوْنِي بِالْأَبْيَضِ
وَالْأَسْوَدِ صُوفًا عَارِفًا فِي مَنَاسِجِ
الْإِنْتِظَارِ، يَخِيطُنِي إِزْجَاءً، وَ يُرْتَقِنِي
أَنْسِيَابًا.

...

يَتَّهَمُ صُورَتِي فِي أَرْوَقَةِ الْعِشْقِ
مُتَلَيِّسَةً بِالْعِنَاقِ فِي سِيْمَاءِ الْكَوْثَرِ،
يَشُدُّنِي إِلَى أَنْفِ الزَّعْتَرِ، يَغْرِسُنِي وَرْدًا
شَبِيعَ اكْتِنَابًا.

...

هِيَ جَنَّتِي وَ فِيهَا تَرْفُلُ رُوحِي سَرِيعَةً
كَقَلْبِ أُمَّ مَوْسَى... وَ مَضِيئَةَ كَصَدْرِ
نَبِيِّ، أَضَاءَ فِي جَوْفِهِ الْقَمَرُ وَ عَنْهُ فِي
الضُّوءِ قَدْ نَابَا.

...

أَنَا الْآنَ مَجَرَّدُ زُورَقٍ يَمْشِي بِقَدَمَيْنِ
مَكْسُورَتَيْنِ، وَ تَحْتَهُ الْمَاءُ يَرْكُضُ مِثْلَ
سَمَكَةٍ، تَطْلُبُ حِصَّتَهَا مِنَ الْمَوْجِ، تَأْكُلُ
الرِّذَاذَ مِثْلَ عِنَاقِيدَ تَدَلَّتْ فِي صَدْرِ

الْبَحْرِ، تَمْضَعُ الْحَلَاوَةَ فِي صُرَاخٍ. وَ فِي
فَمِهَا الْمُسْتَزِيلِ غَابَ الْحَبُّ وَ ذَابَا.

...

الحجر الواحد و الثلاثون
جَالاتيا مرّةً أخرى

يُقيمُ فينا رَجُلٌ غابِرٌ، يأتي من أزمنة
الخُرَاقَةِ. ليس له اسمٌ و له كلّ الأسماء.
يعبثُ بشرقِ الروحِ في تلاوينِ الرّفِضِ
حينَ الرّفِضِ يكونُ حبّاً و عشقاً...

تُوجَدُ في نَاحِيَةٍ من جُغرافِيَتِهِ امْرَأَةٌ،
عنوانُهَا ظِلٌّ... جَمِيلَةٌ مِثْلَ رَعْبَةٍ...
وقاسِيَةٌ مِثْلَ حَلْمٍ....

أما أنا...

فأُخْرِجُ بِيَدائِيَّتِي من جُوفِ هَذَا
المسكونِ بعشيقِ العَاجِ. و قد يكونُ
حِجْراً لم أنتهِه لِعِصْيَانِهِ في دَمِي، كما
في عَدَمِي... يتصلَّبُ حينَ أُحْمِلُ عَلَيْهِ
في غَايَةِ الدَّبْحِ، و يتحوَّلُ إلى أفقٍ بعيدِ.
يُلَوِّحُ لي أَنَّهُ إمكَانٌ لَذِيذِ.

لا زالَ في روعي شيءٌ من الرّحيل،
هُروباً من قدري اللّطيف. أو هُروباً من
جنّة مغموسةٍ في الدّم.

تمتدّ الرحلةُ في شراييني قراراً يشبهُ
العناد. لا أرفلُ في ظلّ امرأةٍ عانقتُ
وجودين: واحدٌ حُرٌّ يمكُرُ بالإزميل...
وثانيٌ عاجٌ يُغري بانقطاع الرّحيل.

أما أنا...

فدختُ بينَ عيني حريّةٍ و أخرى
تُحبّتي... كلاهما ترمقان عطرَ روجي
في انتظارِ فرحة الكمائن. فلم أقرّر
سوى أن أزجىّ فكرة الدفنِ إلى حين...

في غيبَةِ القرار و دوخَةِ الفرار، أرسلتُ
لي "أفروديت" برقيةً من شموِس.
عنوانُها على ظُهرِ الغلافِ قمر.
وبسملتها نجمتان...

قالتُ:

قد غفرتُ لك نزولك، فاصعدِ الآن كي
تشربَ كلَّ العطورِ في قبضتي... ثم لا
تنيسَ بينتِ شفاه...

حوّلتُ تاريخَ الإزميلِ إلى قلبِ الحجر.
ضربتُ سُويداءَ المُهجة، فسالتُ من
قلبِ العاجِ امرأةً عاريةً و قدِ اختزلتُ
في دميها كل النساء.

كانتُ شُعاعاً، و كنتُ رجلاً سعيداً
بدنيّوتي الناقصة... كنتُ سعيداً بفكرة
الموت خارج الحجر و العاج.

أما هي...

فكانتُ أنثايَ بامتياز...

فهرست القصائد

الصفحة	المحتوى
5	تقديم
7	جلاتيا لم تكن حجرا
11	الحجر في كفيها ضوء
13	ظل فارق صلاته
16	عطش
18	مدن تموت
20	لون الخسارة
22	من يرقص؟
25	مقام الحصاة
28	مرمى حجر

30	أنا عشاء قديم
33	مرثية متشائل
36	بسيط البوح
38	بسيطا بغير مناقب
42	سيرة ابن الحي
48	جرادة مالحة
51	خرائط لوجه عار
54	دالية من ليل
57	سقط التفاح
60	سيجارة سريالية
62	سيدة الوقت
65	نورسة من نار
68	أصابها ذكية
71	انكسار
74	عطش الريح
77	مواعيد بحر
80	رقصة
82	جسد و جسد
84	ملاحة فائضة

86

أقحوان شارد

89

على كتفي منذ دهر

93

جالأثيا مرّةً أخرى

نور الدين حنيف البوشامة



جالا شيئا لم تكن حجرا

أرسمُ حروفَ القصيدةِ بأصابعِ
كافرة. لم تُؤمنْ بعدُ أن المعنى
سماءٌ لا تطالها الأيدي... لا
تصلُ مداها عينُ تُرابيَّة. يشرِّقُ
الإبهامُ داخلَ مقبِيتِ الإعتامِ،
فيما سبَّابتي تغزُّبُ خارجَ دوائرِ
الله. خنصرُ كفي يرفضُ توحيدَ
الانزياحِ في خاتمِ صقلتهُ
أجنحةُ الملائكة... يحبُّ صدأُ
الحديدِ الباردِ، ويقدمُ بيعتهُ
الوحيدةَ لشيطانِ أخرس.